

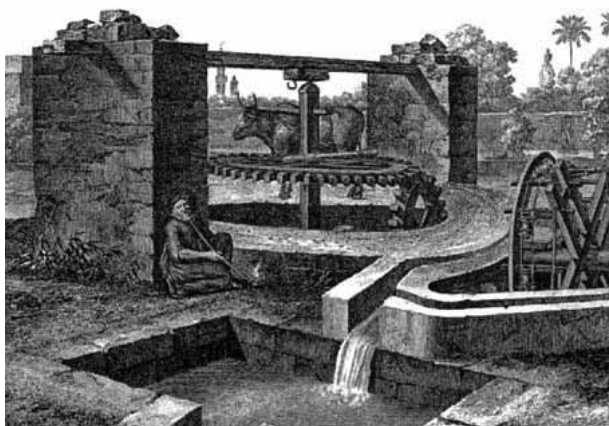
إلى اكتشاف تراثنا



الزراعة في مصر القديمة



النص ل: كريستيان لوبلان



Exemples de norias ou sakiehs dans la campagne égyptienne.

أمثلة للساقية (النوريا) في الريف المصرى.



الملك اكتشاف تراثنا

الزراعة في مصر القديمة



في بداية الكلام

”مصر هبة النيل“ عبارة نسمعها كثيراً وتتردد على أذاننا حينما نذكر أهمية نهر النيل الذي لولاه ما كانت مصر بهذه الجنة الخضراء، الكثير لا يعرف أنها مقولة للمؤرخ الشهير ”هيرودوت“.

منذ العصور الفرعونية، والزراعة تعتبر عماد الحياة الإقتصادية والإجتماعية في مصر وكان الفلاح بعمله وشقاه يعتبر بمثابة العمود الفقري للمجتمع وركيزة إزدهار الدولة المصرية ١.



الفلاح ... بين السماء و الأرض

في مصر القديمة، لم يكن الفلاح ٢ يمتلك الأرض الزراعية وكانت ظروفه قاسية ومتعبة كما جاء في بردية ”تعاليم المهنة“، التي سردت الآتي: عندما يترك أرضه في الغروب ويصل إلى منزله يكون في حالة من التعب الشديد وقد يستمر ذلك الحال منذ ولادته وحتى وفاته.

كان الفلاح يخضع لحياة صعبة ذات ضغوط، راتبه كان عيني يتراوح بين قمح، زيت، الشعير



يكفيه بالكاد للوفاء بإحتياجاته هو وعائلته، هكذا كانت تتمثل حياته المتواضعة.

وكان الفلاح يعيش في بيت من الطين يشبه كثيراً تلك البيوت المتواضعة ٣ التي نراها حتى الآن



على ضفاف النيل فى دلتا مصر، وفى بعض الأحيان كانت تتلخص هذه المنازل فى شكل كوخ بسيط مصنوع من سعف النخل ٤.

وفى ذلك الوقت كان الفلاح البسيط يعانى من أمراض مختلفة كالرمد والتهابات العين نتيجة للظروف الحياتية المحيطة به، وكان هناك أيضاً مرض يعرف بالـ "بلهارسيا" يصيب الفلاح الذى كان يغرس رجليه فى الطين والأرض الزراعية المبللة بالرطوبة.



وبجانب عمله المتعلق بالفلاحة كان له واجبات وطنية، فمثلاً كان يجب عليه المشاركة فى تهيئة البنية التحتية لقريته والمتمثلة فى شق القنوات

والترع وبناء السدود لمجابهة فيضان النيل وإستمر تطبيق هذه المشاركة الوطنية عبر سنوات طويلة حتى تم القضاء عليها تماماً عام ١٨٨٩.

وقد جرت العادة أن نرى الفلاح وهو مثقول بدفع ما عليه من ضرائب ودائماً ما كانت تذكرنا، تلك المناظر الجدارية فى مقابر قدماء المصريين، والتي نرى من خلالها ممثلين خزنة الملك وهم يقومون على جمع الضرائب وأحياناً بتعنيف الفلاحين وأحياناً أخرى بتهديدهم بالسجن فى حالة عدم الدفع ٥.

العمل فى الحقول زراعة القمح

تنقسم السنة المصرية الى ثلاثة فصول: الأول، يمتد من يوليو حتى سبتمبر ويعرف بالهيرة وغليفية بـ (آخت) وفيه يفيض النيل على ضفاف مجراه محملاً بالطمي والسباح حاملاً الخير والرخاء لأهل مصر ١.

و أثناء هذا الفصل، كان الفلاح يذهب لأداء واجباته الوطنية المفروضة عليه لأنه كان لا يمكنه فعلياً المساس بأرضه وهى تحت مياه الفيضان.

ومع بداية فصل "بيريت" والذى يبدأ فى أكتوبر، كان على الفلاح العودة إلى عمله اليومي والمتمثل فى حرق



أرضه ٧ بعد إنحصار مياه الفيضان داخل مجرى النيل. وينشغل الفلاح بتقليب الطمي وبعد ذلك رمى الثمرات والبذر هنا وهناك فى منظر بديع يعكس سعادته بنشر البذور التى تنطلق من بين أصابعه



وتطير فى الهواء الطلق ٨ لترسى فى بطن الأرض ببركة خالقها.



ومن خلف الفلاح، كان هناك مجموعة من الحيوانات الأليفة كالحمار والخروف والخنزير لمساعدته فى دفن البذور داخل الأرض اللينة قبل أن تلتقطها مناقير الطيور وتقضى عليها.

وبعد ذلك تبدأ مرحلة دقيقة ٩ وهى مرحلة بعد البذر وهى التى يقوم فيها الفلاح

برى أرضه بصفة دورية على مدار اليوم من واقع قنوات فرعية لتسهيل مجارى

المياه هنا وهناك فى أنحاء الأحواض الممتدة، وهنا يجدر بالذكر أن هذه القنوات كانت أيضاً تستلزم إهتمام دقيق من الفلاح لتنظيفها ومتابعة العناية بها، وعندما تطول عيدان القمح وقبل وقت تقليمها، كانت



هناك زيارة تفتيشية للتحقق عما إذا كان الفلاح قد جار على أرض جيرانه أثناء عمليات البذر والحرق والرى أم التزم بما خصص له.



١٠ وفى فصل "شمو" أى فصل الصيف بلغتنا الحديثة، يأتى وقت الحصاد حاملاً فى طياته الفرحة والسعادة والبهجة وذلك بعد فترة طويلة من

الشقاء والتعب فأخيراً... هاهو وقت جنى الثمار!

ومن واقع المناظر الجدارية التى نستطيع تأملها حتى الآن فى مقبرة "مننا"، نستشعر هذه الأجواء المرححة التى تصطبغ عملية الحصاد والتى غالباً ما





كان يصطحبها نغمات المزمارة العذبة.

أما زوجة الفلاح وبناته فلهن أيضاً دوراً هاماً فى هذه المرحلة حيث يأتيناهن بالطعام والشراب وتتشارك معهن فرحته بجمع سنابل القمح بل وتأخذنا

بعض منها لتغزل بها أشكال مختلفة من "الحظاظات" كالعروسة ومفتاح الحياة لعلها تجلب لهن الحظ.



وبعد وضع السنابل فى سلال مصنوعة من الجريد واللوف وتعبئتها وإحكامها 11 فكانت تنتقل إلى مكان كبير مفتوح لفصل الحبوب عن العود نفسه وكان ذلك يتم بالإستعانة بحوافر

الجاموس والحمير فى عملية دس السنابل 12.

وفى مقبرة "نخت" كان هناك منظراً جدارياً رائعاً يظهر الفلاحين أثناء إستخراج الحبوب من السنابل وكذلك إستمتاعهم بنخل القمح فى مناخ خشبية مستديرة 13.

المحصول ودفتر الحسابات



هاهو القمح يشكل أكوام مرصوصة، الواحد بجانب الآخر فى مشهد مهيب يعكس الغنى والرخاء.

وها هم نظار القصر الملكى وفى يديهم المعايير والسطول لحكم كمية القمح وقياسها بدقة وثم تسجيلها على هيئة أرقام فى دفاتر القصر وأخيراً، تحديد قيمة الضرائب المفروضة على الفلاحين 14.

ماهى الأدوات التى كان يستخدمها الفلاح؟

هناك بردية عتيقة تسجل حديث فى غاية الأهمية دار بين مدرس وتلاميذه منذ الاف السنين حيث قال لهم أنه أثناء الفيضان كان الفلاح دائماً ما يبدا وقد طاله البلل والرطوبة ولكنه كان يصب إهتمامه على أدوات عمله التى كانت تتمتع ببساطة شديدة ولعل من أهمها وأكثرها إستخداماً كما ورد فى الجداريات

الفرعونية التي نراها هنا وهناك في المقابر والجبانات هو "الفاوس"، فقد كان يصنع من الخشب مدعم بالمعادن الصلدة لمضاعفة قوة تحمله وهناك الكثير من تلك النماذج في المتاحف حول العالم ١٥. وأثناء الحصاد، كان الفلاح



يستخدم "المنجل" وكذلك "المذراة" وهي عبارة عن عصاة خشبية ذو ثلاثة أسنان والمستخدمة حتى الآن ضمن أدوات الفلاحة المصرية ١٦.



و بالتوازي مع هذه الأدوات، كانت هناك مجموعة السلال والأسبته المستخدمة في تشوين القمح والبذور الأخرى، بجانب حوافر

البهائم التي أيضاً كان لها دوراً تخزينياً بعد إعادة تأهيلهم لهذا الغرض... ومن الزعف والجريد والألياف كانت هناك مقشاة من أحجام مختلفة بغرض إحكام أكوام الحبوب في حالة فرط الحبوب منها.

الري

إذا نظرت عزيزي القارئ إلى خريطة جمهورية مصر العربية، لوجدت أن حوالي ٩٠٪ من مساحتها مغطى بالرمال وأن نهر النيل، وهو الأطول في العالم، يشقها ويهبها بمياهه الخير والرغد والحياة. لذا فإن إدارة هذه المياه ووسائل ري الأراضي الزراعية كشق القنوات ١٧ وإدارة ظاهرة فيضان النيل إلى إقامة السدود كان من سالف العصر والأوان



مسئولية شديدة الوطأة على



كبار مسئولى الدولة، فعلياً أن نعرف أن توزيع المياه على الفلاح كان بميزان محدد، كل له نفس القدر ...

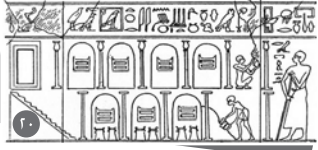
ومنذ عصر الدولة

الحديثة أى ١٦٠٠ ق.م عرف الفلاح الشادوف ١٨ وتم إستعماله عبر السنوات والقرون، غير أن وجوده تلاشى في زمننا هذا ١٩، أما الساقية، فهناك أمثلة رائعة نستطيع أن نتحسسها هنا وهناك في دلتا وصعيد مصر حتى الآن.



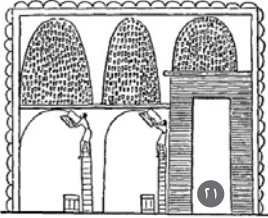
تخزينه الموصول

كان هناك نمطان لمخازن الحبوب: مخازن القصر الملكي ومخازن كبار القوم فى الحقيقة، أن نماذج هذه المخازن ليست بغريبة علينا وهناك الكثير منها فى المتاحف والعديد منها مرسومة على جدران المقابر ٢٠، فأستشفينا أن بعض من هذه المخازن يكون على هيئة مبنى مستدير ذو



قبة والبعض الآخر مستطيل ومسطح السقف، وكان لهذه النماذج أنماط مختلفة من السلالم المثقلة لتقى بأغراض التخزين خاصة فى المستويات المرتفعة.

بالنسبة، يا عزيزى القارئ، لمخازن القصر الملكي، فكانت غالباً ما تكون داخل أسوار المعبد وكان ما بها من الغلال تستخدم لكفاية حاجة القصر والمعبد وأحياناً، لسد حاجة الشعب فى أوقات المجاعات ٢١.



وفى معبد الرمسيوم، هناك خير مثال ٢١ لهذه المخازن ذات القباب، والمهيئة بمساحتها الممتدة ومدخلها المغلقة بأبواب خشبية لتخزين حجم لا

يستهان به من الحبوب ... هذه المخازن كان يحيط بها من جميع جوانبها سور سميك من الطوب اللبن لحمايتها ممن يراوده فكرة السرقة أو التعدى على ممتلكات القصر.

ولا تزال هذه المخازن والموجودة فى الجانب الشمالى لمعبد الرمسيوم تحتفظن بشكلها وهيأتها رغم فقدتها لجزء كبير من جدرانها وكذلك أبوابها الخشبية.

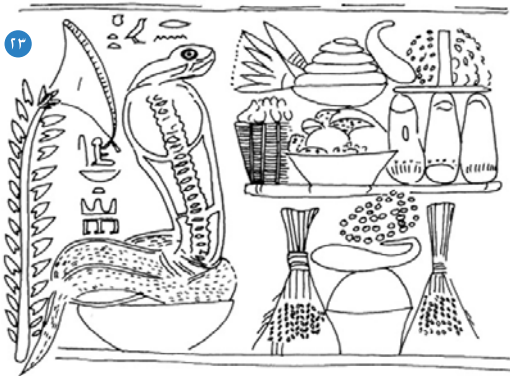
٢٢



الزراعة وعالم الآلهة في مصر القديمة

أله المصريون القدماء فيضان النيل وعرفوه بإسم "حابى" وكانوا ينتظرونه بشوق وولع كل عام فى نفس الميعاد ويعدون له الأفراح والإحتفالات، ولعل أهم المظاهر التى تعكس السعادة والبهجة هى إحتفالات مدينة طيبة والمعروفة بـ "أحتفالات أوبت" والتى كانت تتم تحت أعين الإله "أمون- رع" رب المدينة. ولم يكن الفيضان دائماً يأتى فى ميعاده حيث سجل لنا التاريخ على صخرة من الجرانيت بأسوان، تعرف بلوحة المجاعة، ذكرى سنوات مجاعة عصبية إستمرت لمدة ٧ سنوات.

فى العقيدة المصرية القديمة، كان الإله "أوزوريس" هو إله الزراعة وكان الفلاح المصرى ينسب له بداية فكرة الفلاحة بمراحلها المختلفة، أى منظومة البذر والرى أما "الحصاد" فكانت الإلهة "رتوت" هى المسئولة عنه وكانت تأخذ شكل ثعبان الكوبرا (٢٣)، ولعل المصرى القديم قد إختار تلك الشكل المرعب لثعبان الكوبرا لتخويف وإرهاب من يجراً الإقتراب من مخازن الغلال بصفة عامة، وقد نسبت متون العقيدة المصرية إبناً للإله "رتون" وعرفته بأسم "نبرى" وكان إله حامياً لسنايل القمح اليانعة قبل حصادها.



© (٢٠١٧) إعداد النص : كريستيان لوبلان (CNRS)

الترجمة للعربية: جيهان زكي (CNRS)

حقوق التصوير: CEDAE، كريستيان لوبلان، egypt-museum، agropolismuseum، egypt-king، نادين جيلو، وصف مصر، ليشطار.



تم نشر هذا الكتيب الموجه لتلاميذ المدارس بدعم من:
بنك قطر الوطني الأهلي، جمعية الحفاظ على الرامسيوم،
برنتوجراف - أسامة خيرى - جمهورية مصر العربية
يوزع مجاناً